

الباب الثالث القرآن في حياة السلف

هذه لحظات نقضيها مع بهاء الإيمان وإشراقه الحق، ونور البصيرة ولذة المناجاة وقرعة عيون المؤمنين بتلاوة القرآن العظيم، وتنعم القلوب بروعة المعاني القرآنية وحكمة المواعظ الربانية، وتألق النفوس في رياض الهداية، وزيادة الإيمان فيها بترتيل وتدبر القرآن إنها وقفة مع الصادقين وشغف قلوبهم وألستهم بتلاوة كلام الله وإقبالهم عليه بكل شوق وحب فالقرآن أعظم ما نطق به لسان وترنم بآياته إنسان، وهو أطيب وأكمل ما استمعت إليه آذان، واقشعرت عند تلاوته الأجسام والأبدان، وعلى قدر الإيمان يكون الانشغال والشغف بالقرآن لأن كلام الملك الرحمن وعلى قدر حبه يكون حب الله في القلب والجنان. إن أسعد لحظات عمرك تلك التي تقضيها مع القرآن في صلاتك وفي خلواتك وذلك حين تأنس بخطاب ربك لك، وتستشعر قرب الله منك وحبه لك إذ وفقك وألهمك ذكره والتقرب إليه بكلامه. ويا لها من متعة ويا لها من لذة حين تكون من المتبتلين في الأسفار والتالين لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار.

وأود منكم إخوتي الكرام القارئ أن تعيدوا قراءة هذا الفصل مرات ومرات حيث إن فيه غرساً للأسوة وحثاً على الاقتداء والاهتداء بالصالحين فتشبه بهم تنسب إليهم، خذ بهديهم تكن على دربهم، وإن سلكت سبيلهم فتلك هي النعمة الحقيقية. وذلك حين تذكر الله فيذكرك، وتتقرب إليه فيقربك وتدعوه فيستجيب لك، وتحبه فيحبك.

فهيا إخوتي إلى هذه الصور المتألقة والأنوار الإيمانية المتدفقة، والقذوات الرائعة الصادقة، والمواقف الكريمة المشوقة، تلك التي تحمل النفوس إلى سمو الإيمان، وتطوف بها في بستان العلم والعرفان، وتأخذ بنواصيها إلى حدائق الحقائق وروائع البيان. تعالوا إلى حياة الصالحين والأئمة المهتدين، لعلنا نحذوا حذوهم ونسلك سبيلهم ونلتقي يوم

القيامة بهم فيكون مآلنا كمآلهم وما ذلك على الله بعزيز إن ربنا ولى كل نعمه، عظيم الفضل واسع الرحمة وهو على كل شئ قدير.

أولاً - إمام الأئمة:

حقاً - أيها الأحبة أقول: إن القلب ليرتجف وإن الحلق ليحجف من الهيبة والجلال الذي يعتري المرء حين يريد أن يتحدث عن هذا النبي الكريم والرسول العظيم، سيد الأولين والآخرين، وإمام العلماء العاملين وقدوة العباد الصادقين والله در هذه النبيلة الفاضلة والحكيمة العاقلة الصديقة بنت الصديق عليه السلام حين تسأل عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فتجيب إجابة الحكيم المجرب فتقول: «كان خلقه القرآن»^(١).

وهذا مشهد نبيل جليل يوقفك على حقيقة التعبد والحب لله جل جلاله والشغف الشديد بتلاوة كلامه والقيام به آناء الليل والحديث في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم يمضي فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه معه ثم قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد» ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه^(٢).

ومثل هذا المشهد جرى مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان من أحرص الصحابة على اتباع رسول الله وبرغم ذلك شق عليه طول القيام الذي قامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يتلو كلام الله حتى هم ابن مسعود أن يجلس ويدع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا

(١) رواه أحمد في «المسند» (٩١/٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥/١) برقم [٣٠٨] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٨١١].

(٢) رواه مسلم برقم [٧٧٢].

يفسر لك إصرار ابن مسعود على القيام برغم اتفاق العلماء على جواز الجلوس لمن شق عليه القيام والحديث عند البخارى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فأطال القيام حتى هممتُ بأمر سوء قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه»^(١).

وليس هذا أوداك موقفاً عابراً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان هذا دأبه وحاله في غالب عمره صلوات الله وسلامه عليه ويبين لك ديمومة ذلك ودوامه في حياة رسول الله قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟!»^(٢).

وها هو النبي صلى الله عليه وسلم عندما يستيقظ من نومه في الليل يبدأ أول ما يبدأ بتلاوة آيات من كتاب الله جل جلاله كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بثُّ عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فظفر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الْعَنْزَل: ٧٧] ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح^(٣).

وفيها بلفظ آخر قال رضي الله عنه: حتى إذا انتصف الليل أو قبله أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شئٍ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي».

(١) رواه البخارى برقم [١١٣٥] ومسلم برقم [٧٧٣].

(٢) رواه البخارى برقم [٤٨٣٧]، ومسلم برقم [٢٨٢٠].

(٣) رواه البخارى رقم [٤٥٦٩]، ومسلم برقم [٧٦٣].

وها هو موقف رقيق يأخذ بالألباب ويأسر العقل حينما يرى النبي ﷺ يطلب من صحابى كريم أن يتلو عليه القرآن ويعلل النبي ذلك بأنه يحب أن يسمع القرآن من غيره فيفتتح الصحابى سورة من كتاب الله حتى تذر عين رسول الله ﷺ بالدموع ويرق قلبه بالبكاء والحديث في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن» قلت: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(١).

تأمل حب رسول الله ﷺ لسماع القرآن من غيره وما قرأ قارئ القرآن مثل رسول الله في الحسن والجودة والروعة وطلاوة التلاوة وجمال القراءة ولكنه ﷺ يحب أن يسمع من غيره القرآن ولعل لنا في ذلك درساً تربوياً وهو أنك قد تتأثر بتلاوة قارئ حسن الصوت، جذاب التلاوة فيكون ذلك عاملاً قوياً من عوامل تدبر القرآن العزيز.

وعن أم هانئ فاخته بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: كنت أسمع قراءة النبي ﷺ بالليل وأنا على عريشي^(٢).

حتى في سفره على راحته ما كان رسول الله ﷺ يغفل عن القراءة للقرآن وذكر الله عز وجل والصلاة في السفر على الراحلة قال البخاري رحمته الله باب القراءة على

(١) رواه البخارى برقم [٥٠٥٠] ومسلم.

(٢) رواه النسائي وابن ماجه والترمذي في «الشمال» وصححه الألباني في «مختصر الشئائل»، ص [١٦٧]، رقم [٢٧٢].

الدابة وذكر عن عبد الله بن مغفل رحمته الله أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحته سورة الفتح ^(١).

قال ابن بطال: إنما أراد بهذه الترجمة أن في القراءة على الدابة سنة موجودة وأصل هذه السنة قوله تعالى: ﴿لَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣] ^(٢).

وها هو نبينا صلى الله عليه وسلم يعلمنا الحرص على تلاوة القرآن دائماً حتى قبيل النوم كما روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح وجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ^(٣).

بالله قل لي: أين أنت من هذه السنة هل تؤديها كل ليلة؟! هل تحرص عليها؟! هل تتقرب إلى الله بها؟! هل لم فاعمل فقد علمت وفقني الله وإياك لكل خير.

وعنها رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقر عليه وأمسح بيده رجاء بركتها ^(٤)، وعند مسلم أنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسح بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي ^(٥).

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٣٤].

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٧٠١)، ط: الريان.

(٣) رواه البخاري برقم [٥٠١٧].

(٤) رواه البخاري برقم [٥٠١٦].

(٥) رواه مسلم برقم [٢١٩٢].

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رحمته الله قالت: ما حفظت «ق» إلا من في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخطب بها كل جمعة^(١). قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: والقصد أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ بهذه السورة في المجمع الكبار كالعيد والجمع لاشتغالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رحمته الله أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الْعَزَّوَجَلَّ﴾^(٣).

وها هو النبي صلّى الله عليه وسلّم يعلم صحابته القرآن يربيههم على أحكامه وقيمه في حياتهم ليكون هو المهيمن المسيطر على هذه الحياة وحيث نرى أصدق صورة للعبودية وأروع مثال لتحقيق الإيمان في واقع الحياة متمثلاً في هذا الجيل الفريد وهذا الطراز الكريم وتلك الثلة الكريمة التي رباهها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ولناخذ صوراً من تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم القرآن لأصحابه.

عن أبي سعيد رافع بن المعلّى رحمته الله قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إلا أعلمك أعظم سورة من القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟».

فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمك أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(٤).

(١) رواه مسلم برقم [٨٧٣].

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣٠٣/٧).

(٣) رواه الترمذي برقم [٢٨٩٢] وأحمد (٣/٣٤٠) وصححه الألباني في الصحيحة رقم [٥٨٥].

(٤) رواه البخاري برقم [٤٤٧٤].

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته^(١).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» ف ضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»^(٢).

إن النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة الكاملة، والأسوة الحقيقية في كل باب من أبواب الخير والإيمان والتقوى لا سيما في هذا الباب حيث امتلأت حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها بتلاوة القرآن والقيام به ومدارسته وتدبره وتعليمه وتحكيمة وتعظيمه والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصر ولعل فيما ذكرنا كفاية وهداية لمن أراد الاقتداء والاهتداء بسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم. هذا هو رسول الله وهذا حاله مع القرآن ملازمة للتلاوة في مختلف الأحوال، في السفر والحضر، في السلم والحرب، في الصحة والمرض، في الصلاة وخارجها، في الليل والنهار، في المسجد والبيت وعلى الراحلة، وقبيل النوم وبعد الاستيقاظ من النوم كان صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشى على الأرض كما وضفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فمن أحب رسول الله فهذا هو هديه فليتبعه، وليحرص في كل موطن وفي كل يوم وليلة على تلاوة القرآن والاستقامة على ذلك ما دامت به حياة. اللهم نسألك من فضلك العظيم، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

ثانيًا - الصحابة الكرام:

ذلكم هو الجيل الفريد، والقدوة الصادقة للناس كافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينما يتأمل المرء في حياتهم يرى نضارة الإيمان وصدق اليقين وروعة التبتل وجلال

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٠٢]، ومسلم برقم [٢٤٦٣].

(٢) رواه مسلم برقم [٨١٠].

التعبّد تسمع لهم في الليل دويًّا كدوى النحل بتلاوة القرآن، ونلهج ألسنتهم وقلوبهم بتلاوة كلام ربهم، وتتألاًّ بيوتهم بطيب التلاوة آناء الليل والنهار فتعالوا نأخذ قبساً من نور هديهم لعلنا ننشبه بهم ونسير على دربهم وعسى ربنا عز وجل أن يلحقنا بهم إنه ولى ذلك ومولاه.

١ - صديق الأمة أبو بكر رحمته الله :

وهذا هو المؤمن البكاء، حبيب الحبيب وخير رجل في الأمة بعد نبيها، إنه صديق الأمة الأكبر أبو بكر بلغ من رقة قلبه بالقرآن أن عُرف أنه لا يمالك نفسه عن البكاء عند تلاوة القرآن وترتيله كما عند البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رحمته الله قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: «مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة رحمته الله: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مه إنكن لأنتن صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت حفصة: ما كنت لأصيب منك خيراً^(١).

وكان هذا حاله في صلاته عندما يتلو كتاب الله ويتدبره وهذه حالة الصديقين والصالحين التقرب إلى رب العالمين بتلاوة كتابه الكريم لا سيما في الصلوات والخلوات بتدبرو فهم وتعقل للآيات تأمل هذا المشهد المهيب الجليل الذي زلزل أهل مكة برغم أنه ما تكلم وما دعا وإنما صلى فقط ورآه المشركون ففزعوا من هذا المشهد النبيل المؤثر وخافوا أن يدخل أبناؤهم ونساؤهم في الإسلام تأثراً وإعجاباً بهذا المشهد الرقيق الخاشع الذي يبدو فيه الصديق أثناء تلاوته لكلام الله في صلاته والحديث عند البخاري من حديث عائشة رحمته الله وفيه قالت رحمته الله: فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي قال ابن الدغنة:

(١) رواه البخاري برقم [٦٧٩].

فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار. ارجع وأعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ فيها ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبنائنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبي بكر لذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء قريش وأبنائهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفرع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجربنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبنائنا فانه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإننا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله عز وجل^(١).

واسمح لي أخي الحبيب أن أقف مع هذا الحديث وقفه لنستخرج منه بعض الدروس والعبر، من الفوائد التي نأخذها من هذا الحديث ما يلي:

١ - شدة تأثير القرآن حتى على المشركين فقد أفرعهم قراءة أبي بكر له وتقذف عليه نساؤهم وأولادهم ينظرون إلى صلاة الصديق ويستمعون قراءته.

٢- رقة قلب الصديق وغزارة دمه عند تلاوة القرآن وهذا من عظيم معرفته بجلال ربه وشده خشيته له.

٣- الصلاة من أكثر المواطن التي يمكن أن يحصل فيها تدبر القرآن والتفكر في معانيه والتأثر بها.

٤- كثرة إقبال الصديق على التلاوة والصلاة إذ لو كان ذلك مرة واحدة أو مرات معدودة لم يؤثر ذلك في قريش بهذه الصورة التي أفرعتهم وإنما كان هذا الموقف منهم لمداومة الصديق على ذلك وإكثاره منه.

٥- شدة ما وقع على المؤمنين من الأذى والذي منه الإخراج من الأرض والإبعاد منها وهذه سنة جارية بين أهل الباطل والمستضعفين من المؤمنين.

٦- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، والرصيد الكبير من الأخلاق الفاضلة يصطنع للمرء عند الناس منزلة ومكانة حتى ولو كانوا مشركين، فأحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم. وتخلق بهذه الأخلاق النبيلة يكن لك بين الناس مكانة وفضيلة.

٧- ثقة الصديق في ربه ويقينه بحفظه حيث ردَّ على الرجل جواره ورضى بجوار الله وحفظه وحده. وما كان جوار الرجل إلا سبباً من الأسباب المباحة بل المطلوبة شرعاً ولكن جوار الله أمان وأحفظ وأبقى وأمن.

وهذا هو الصديق الأواه الأبواب تأتيه الآية من كتاب الله فيقف عندها ويدعن لحكم الله فيها ويستسلم استسلاماً كاملاً لأمر الله جَلَّ جَلَّالَهُ. وهذا هو الموقف المشهور في حادثة الإفك حيث آذاه مسطح بن أثاثه وخاض فيما خاض فيه أهل الإفك، ولما أنزل الله براءة أم المؤمنين حلف الصديق ألا ينفق على مسطح ولكن القرآن يتنزل فيؤمر الصديق بالخلق الأكمل وهو أن يعيد النفقة لهذا المسكين، فأذعن على الفور واستجاب في التو والحديث في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: فلما أنزل الله براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره -: والله لا أنفق

على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر: بلي والله إنني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً^(١).

ومن أروع المواقف التي تدل على فهم الصديق للقرآن وحفظه وتدبره لآياته هذا الموقف الذي أذهل العقول وأخرس الألسنة وزلزل القلوب فجاء الصديق رحمته الله ليعيد الحق إلى نصابه، والعقل إلى صوابه، وظهر في هذا الموقف علمه وفضله وبقينه وحلمه رضوان الله عليه وذلك حينما استدل بالقرآن عند وفاة رسول الله صلوات الله عليه وآله استدلالاً أخرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً فالله وحده هو الحي الذي لا يموت وهو الذي يستحق العبادة وحده، والإسلام باق بعد موت النبي صلوات الله عليه وآله.

لما سمع أبو بكر خبر موت رسول الله صلوات الله عليه وآله أقبل على فرس من مسكنه بالسفح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتمم رسول الله صلوات الله عليه وآله وهو مغطى عليه بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة الأولى التي عليك فقد متتها^(٢).

وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر وهو ماض في كلامه وثورة غضبه فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه. أما بعد، فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ

(١) رواه البخاري برقم [٤٧٥٠]، ومسلم برقم [٢٧٧٠].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٤٥٢] والسُّنن موضع بعوالي المدينة كان فيه منزل الصديق .

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [الْعَمْرَن: ١٤٤].
فنشج الناس ليكون^(١).

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويتُ إلى الأرض ما تحملني قدماي
وعلمت أن رسول الله قد مات^(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراته فإن
الشجاعة والجرأة حداهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من
موت النبي ﷺ فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس لم يمت رسول الله
ﷺ منهم عمر وخرس عثمان واستخفى علي واضطرب الأمر فكشفه الصديق
بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنع^(٣).

هكذا البصيرة النافذة واليقين الراسخ والعلم والحكمة كان ذلك حال الصديق وفي
هذا الموقف تجلت هذه المعاني وظهرت وإنما يعرف الرجال في المواقف تقول أم المؤمنين
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: والله لكان الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو
بكر فتلقاها منه الناس فما سمع بشرًا إلا يتلوها^(٤) وهذا المشهد يدل على عظمة الصديق
للقرآن ومداومته لتدبره وتلاوته.

وروى الزهري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر رضوان الله عليه قرأ في صلاة
الصبح البقرة فقال عمر كادت الشمس أن تطلع فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(٥).
وظل القرآن الكريم هو شغل الصديق وأنيسه في حياته كلها حتى موته.

(١) رواه البخاري برقم [٣٦٦٨].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٤٥٤].

(٣) رواه البخاري (٤/ ١٩٧)، ط: التوفيقية.

(٤) رواه البخاري برقم [١٢٤١].

(٥) «الانتصار للقرآن» (١/ ١٨٢)، ط: دار ابن حزم.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

قالت: فنظر إلى كالعصبان ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين ولكن قول الله أصدق ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] ^(١).

٢- عمر الفاروق رضي الله عنه :

وهذا هو العالم العامل العابد، الحازم العادل المسدد بالصواب عمر بن الخطاب تلمح في حياته التعظيم والتوقير والإجلال للقرآن ومدارسة القرآن والقيام به بين يدي الله عز وجل، مؤتمراً بأوامره، واقفاً عند حدوده، خاشعاً لمواعظه، بكاء عند تلاوته، مفسراً لآياته مهتماً بمعرفة أحكامه ومن شواهد ذلك ما يلي:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عينية بين حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النقر الذين يدينهم عمر رضي الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهؤلاء كانوا أو شباناً فقال عينية لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عبد هذا الأمير، فاستأذن لي عليه فاستأذن له فأذن له عمر رضي الله عنه فلما دخل قال: هي ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبية صلى الله عليه وسلم «خذ العفو وأسر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقفاً عند كتاب الله تعالى ^(٢).

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٦٦)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ١٩٧)، ط: دار صادر.

(٢) رواه البخاري برقم [٤٦٤٢].

وهذا الحديث الكريم نستخلص منه الشواهد والفوائد التالية:

- ١- تعظيم عمر للقرآن بتعظيم حملته دليل ذلك «وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً».
- ٢- الوقوف عند كتاب الله والإذعان لقول الله فبرغم أن الرجل أساء الأدب وأفحش في القول وتعدى وظلم بما قال إلا أن الآية نزلت على قلب عمر دواء لانفعاله وثورته.
- ٣- حياة عمر كلها كان فيها هذا المعنى العظيم دليل ذلك «وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى».
- ٤- حلم عمر وعفوه واحتماله الأذى وجهل الجاهلين برغم ما عهد عنه من شدة ولكنه الإيمان الذي يصنع المواقف النبيلة الكريمة.
- ٥- فضل المجلس الصالح وبركة مجالسته فلما كان المجلساء صالحين متقين أمروا بمقتضى الصلاح والتقوى، والأحسن والأكمل.
- ٦- ليس هناك من الناس إلا ويحتاج إلى تذكير لا سيما وقد رأينا هذا الموقف للمُحَدَّث الملهم عمر كيف يتغير موقفه عندما ذكر.
- ٧- لا يشترط في الناصح أن يكون فاضلاً ويكون المنصوح مفضولاً فعمر أفضل من الحر بدرجات كبيرة ولكنها النصحية الواجبة الموفقة حينما تكون خالصة لله.
- ٨- تواضع الفاروق حيث رجع عما همَّ به وهو أمير المؤمنين لقول أحد جلسائه وقبل قوله.
- ٩- معاملة الناس بقدر عقولهم وعلمهم إذ إن هذا يحتمل من أعرابي ولا يحتمل ممن عاش في المدينة وعاشر أهلها.
- وكانت مجالس عمر بن الخطاب رحمته الله عامرة بتدارس القرآن وتعلمه ومن ذلك.

قال عمر رضي الله عنه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

قالوا: الله أعلم فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أولاً لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عزَّ وجلَّ ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله^(١).

وفي رواية قال ابن عباس: عنى بها العمل ابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم يبعث فقال عمر: صدقت يا ابن أخي^(٢).

وعن يعلى بن أمية قال سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]. وقد أمن الناس فقال لي عمر: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته^(٣).

وأخرج البخاري حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٩).

(٢) «الخلافة الراشدة»، د. يحيى الجيجي، ص [٣٠٥]، نقلاً عن عمر بن الخطاب للصلاحي ص [٤٧-٤٨] دار الإيمان.

(٣) رواه أحمد برقم [١٧٤].

فقال عمر: إنه من قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم فقال: ما تقولون في قوله الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا فقال: ما تقول؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً». فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول (١).

ومن تفسيره وتعليقه على بعض الآيات في مجالسه الكريمة ما يلي:
عن النعمان بن بشير رحمته الله قال: سئل عمر بن الخطاب. عن قوله تعالى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في الناس فذلك تزويج الأنفس.

وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؟ فسكتوا يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجَهُمْ﴾ (٢).

وعن أبي عمران الجوني قال: مرَّ عمر بن الخطاب رحمته الله بدير راهب قال: فناده: ياراهب، فأشرف قال فجعل عمر ينظر إليه ويكي ف قيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿[الْعَاشِيَةِ: ٣-٤]﴾ فذاك الذي أبكاني (٣).

(١) رواه البخاري برقم [٤٢٩٤].

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٦٠).

(٣) السابق (٨/ ٣٠٠).

وعن عبيد بن عمير قال: صلى بنا عمر صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى بلغ: ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُفَ: ٨٤]. بكى حتى انقطع فركع قال أبو عبيد في غير هذا الحديث لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يُوسُفَ: ٨٦] بكى حتى سمع نسيجه من وراء الصفوف^(١).

وعن جابر بن عبد الله قال: رأى عمر في يدي لحماً معلقاً قال: ما هذا يا جابر؟! اشتهيت لحماً فاشتريته فقال عمر: كلما اشتهيت اشتريت! أما تخاف هذه الآية ﴿أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؟! [الْأَحْقَافُ: ٢٠]^(٢).

في مواعظه وفي خطبه وفي نصائحه وفي كلامه كان دائم الاستشهاد بكلام الله جلّ جلاله ومن ذلك أيضاً ما ورد عن أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً ان تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية» [الْحَاقَّةُ: ١٨]^(٣).

قال ابن مسعود رحمته الله: ما أظن أهل بيت من المسلمين لم يدخل عليهم حزن يوم أصيب عمر إلا أهل بيت سوء إن عمر كان أعلمنا وأقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله^(٤). وعن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه^(٥).

٣- عثمان بن عفان رحمته الله :

وذلكم هو الخليفة الراشد الصحابي، القانت التقي الحبي، زوج ابنتي النبي، ذو النورين وصاحب الهجرتين والمبشر بالحسنين، إنه الأواب الخاشع، العابد العالم،

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٦٧) وبنحوه في «تفسير الطبري» (٦/٧٠) ط: الرسالة.

(٢) رواه أحمد في «الزهد» برقم [١٥٣].

(٣) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/١١٢)، ط: دار المنار.

(٤) «الانتصار للقرآن» للباقلاني (١/١٨٨)، ط: دار ابن حزم.

(٥) «فضائل القرآن» لابن كثير، ص[٢٠]، ط: ابن تيمية.

القارئ المتقن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال محمد بن سيرين حين قتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة.

وقال: لما أحاطوا بعثمان ودخلوا عليه ليقتلوه، قالت امرأته: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: قال عبد الرحمن بن عثمان التميمي قلت: لأغلبن الليلة نفر على الحجر - يعني المقام - فلما قمت فإذا رجل يزحمني مقنعاً قال: فالتفت فإذا بعثمان يزحمني فتأخرت عنه فصلى فإذا هو يسجد بسجود القرآن حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثم انطلق وقد روى من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩] قال: هو عثمان بن عفان. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] قال: هو عثمان.

وقال حسان:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يُقَطِّعُ الليل تسبيحاً وقرآنًا

وقال إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبت من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف. وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه.

وقال أنس ومحمد بن سيرين قالت امرأة عثمان يوم الدار اقتلوه أو دعوه فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة^(٢).

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٩٤/١)، ط: دار الكتب العلمية، و«الطبقات» لابن سعد (٣/٧٦)، ط: دار صادر.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٢٠٣)، المجلد الرابع، ط: دار الحديث بالقاهرة.

وعن أبي سعيد قال: ضربوه فجري الدم على المصحف على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال عبد الله بن شقيق: إن أول قطرة قطرت من دمه على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾. فإن أبا حريث ذكر أنه ذهب هو وسهيل المري فأخرجوا إليه المصحف فإذا قطرة الدم على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ قال فإنها على المصحف ما حُكَّت.

وقال أبو سعيد مولى أبي أسيد فتح عثمان الباب ووضع المصحف بين يديه فدخل عليه رجل فقال: بينى وبينك كتاب الله، فأهوى إليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال: والله إنها لأول كفٍّ خطت المفصل (١).

رضي الله عن عثمان، فبيده خط القرآن وفي قلبه قد حفظه وبلسانه قام به بين يدي ربه وترنم به آناء الليل والنهار قال القاضي الباقلاني عن عثمان رحمته الله: وقد كان من المشهورين بقراءة القرآن وكثرة درسه والقيام به في آناء الليل والنهار، وإكثاره من ذلك وبلوغ الغاية القصوي منه هذا مع سنه وسابقته وتقدم إسلامه وعظم محله من الدين والمسلمين (٢).

٤- علي بن أبي طالب رحمته الله؛

عاش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمته الله حياته مع القرآن تلاوة وحفظاً وتدبراً وفهماً وعملاً قال السيوطي رحمته الله: وعلي رحمته الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاه وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رحمته الله، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي، وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن

(١) «السير» للذهبي (٥٤٣-٥٤٤)، ط: التوفيقية.

(٢) «الانتصار للقرآن» للباقلاني (١/١٩٠).

بن أبي ليل وهو أول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة: إنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه^(١).

وورد عنه أنه قال ﷺ: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً.

وقال: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ لبيل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل.

وقال: الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره لأنه لا خير في عباده لا علم فيها ولا علم لا فهم معه ولا قراءة لا تدبر فيها^(٢).

وكان يقول ﷺ: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاثة الأواخر من سورة البقرة^(٣).

ولقد أوتي ﷺ فهماً دقيقاً في القرآن فقد روى البخاري والترمذي وغيرهما عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء في بيضاء أليس في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن. وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال العقل وفكك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر^(٤).

(١) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي، ص[١٢٥]، ط: دار المنار.

(٢) السابق (١٣٨ - ١٣٩).

(٣) «التبيان» [٢٦٦].

(٤) رواه البخاري [٣٠٤٧]، والترمذي [١٤١٢] وهذا لفظه.

ومن فهمه العميق للقرآن أنه حكم وقضى ببراءة امرأة من الزنا وكانت قد ولدت بعد ستة أشهر من زواجها فحكم على براءتها من الزنا حيث جمع بين قول الله تعالى ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ، وَفَصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. فقال: الحمل ستة أشهر والفصل أربعة وعشرون شهراً^(١).

أي أنه طرح مدة الرضاعة وهي الستة أشهر من مجموع مدة الحمل والرضاع معاً وهي ثلاثون شهراً فبقيت ستة أشهر.

وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي من حفاظ كتاب الله تعالى وأهل العلم به وهو يعترف لعليّ عليه السلام بأنه لم يرى رجلاً أقرأ للقرآن منه عن عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمن السلمي حدثه فقال: ما رأيت رجلاً أقرأ للقرآن من علي بن أبي طالب صلى بنا الصبح فقرأ سورة الأنبياء فأسقط آية ثم قرأ تدرجاً ثم رجع إلى الآية التي أسقطها فقرأها ثم رجع إلى المكان الذي انتهى إليه لا يتتبع.

وقال أبي عبد الرحمن السلمي أيضاً: صلى بنا عليّ في شهر رمضان فقرأ بنا عشر آيات عشر آيات^(٢).

٥- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه : والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته^(٣).

(١) مصنف عبد الرزاق رقم (٣٥٠ / ٧) برقم [١٣٤٤٤]، ط: المكتب الإسلامي.

(٢) «الانتصار للقرآن» للباقلاني [١ / ١٩٣].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٤٦١].

وعن أبي الأحوص قال: أتيت أبا موسى وعنده عبد الله وأبو مسعود الأنصاري وهم ينظرون إلى المصحف فتحدثنا ساعة ثم خرج عبد الله وذهب. فقال أبو مسعود: والله ما أعلم النبي ﷺ ترك أحداً أعلم بكتاب الله من هذا القائم^(١) يعني عبد الله ابن مسعود.

وعن عاصم عن زر عن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبي بكر وعمر وعبد الله قائمٌ يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها فقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد».

فأخذ عبد الله في الدعاء فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سل، تعط»، فكان فيما سأل: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة محمد ﷺ في أعلى جنات الخلد، فأتى عمر عبد الله يبشره فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه فقال: إنك لسباق بالخير^(٢).

وعن مسروق قال: ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ: استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل^(٣).

وعن حبه بن جوين قال لما قدم عليّ الكوفة أتاه نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود فسألهم عنه حتى رأوا أنه يممتحنهم فقال: وأنا أقول فيه مثل الذي قالوا وأفضل، قرأ القرآن، وأحل حلاله، وحرم حرامه فقيه في الدين عالم بالسنة.

(١) رواه مسلم برقم [٢٤٦١].

(٢) رواه أحمد (١/٤٤٥)، والحاكم (٣/٣١٧) وحسنه الأرنؤوط كما في «السير» (١/٤٧٥)، ط: الرسالة.

(٣) رواه البخاري برقم [٣٧٥٨]، ومسلم برقم [٢٤٦٤].

وعن عون بن عبد الله عن أخيه عبيد الله قال: كان عبد الله إذا هدأت العيون قام فسمعتُ له دويًّا كدويِّ النحل^(١).

وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رحمته الله قال: أديموا النظر في المصحف.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود رحمته الله أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا فيه وفسر لهم^(٢).

٦- الأشعريون رحمته الله:

تأمل في هذا الفضل وتلك الكرامة التي امتن الله بها علي هؤلاء الصادقين المخلصين الذين استنارت بيوتهم في الليل بالقرآن ولهجت ألسنتهم بتلاوته وجالت في رياض معانيه قلوبهم حتى يشني عليهم بذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، في الصحيحين من حديث أبي موسى رحمته الله قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»^(٣). يا له من فضل ونبل ويا لها من منقبة وكرامة أن يشني عليهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بمداومة التلاوة في الليل وشغفهم بذلك وحرصهم عليه قال النووي رحمته الله: والمراد يدخلون منازلهم إذا خرجوا لشغل ثم رجعوا وفيه دليل لفضيلة الأشعريين وفيه أن الجهر بالقرآن في الليل فضيلة إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو مصلٍّ أو غيرهما ولا رياء والله أعلم^(٤).

(١) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ١١٠)، (٣/ ١١١).

(٢) «فضائل القرآن» لابن كثير، وحسن الأثر الأول الحويني وصحح الثاني ابن كثير ص [٢١٠-٢١١].

(٣) رواه البخاري برقم [٤٢٣٢] ومسلم برقم [٢٤٩٩].

(٤) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٣٠٠)، ط: دار الحديث.

٧- أبو موسى الأشعري رحمته الله عليه :

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا موسى، لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود»^(١).

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فأخذ بيدي فدخلت معه فإذا رجل يقرأ ويصلي فقال: «لقد أوتي هذا زمزماً من مزامير آل داود» وإذا هو عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري قال قلت يا رسول الله فأخبره، فأخبرته فقال لم تنزل لي صديقاً^(٢).

وقال أبو سلمة: وكان عمر بن الخطاب رحمته الله عليه يقول لأبي موسى وهو جالس في المجلس يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فيقرأ عنده أبو موسى وهو جالس في المجلس. ويتلاحن^(٣)، وعنه رحمته الله عليه قال: إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي.

هذا برهان الحب الصادق ودليل الإيمان الراسخ، وشاهد بما في القلوب من عبودية لعلام الغيوب جلّ جلاله دون ذكره على كل حال وأفضل الذكر وأكلمه وأحسنه وأجمله وأهمه وأنفعه تلاوة القرآن بتدبر وفهم.

إلى العباد في الدنيا	جنان الخلد تشتاق
عليهم حين تلقاهم	سكينات وإطراق
يضعون إلى الله	ودمع العين مهراق
وقد قاموا فلا يهجع	من قد ذاق ماذا قوا

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٤٨]، والترمذي برقم [٣٧٥٥].

(٢) رواه أحمد (٣٥٩/٥) وحسنه شيخنا العدوي في «الصحیح المسند من فضائل الصحابة» [٣٧٦].

(٣) رواه ابن حبان كما في «موارد الظمان» [٢٢٦٤] وقال الشيخ مصطفى حسن لغيره كما في «الصحیح المسند» [٣٧٧].

٨- أسيد بن حضير رحمته الله عليه :

وهذا منيب أواه خاشع مخبت، وصحابي كريم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقوم في دياجير الليل ساهراً يلتذ بطيب المناجاة، ويسعد بتلاوة كلام الله يترنم بآيات الله في الليل ويقتبس من نور القرآن فيتعطر الكون من حوله بعبير تلاوته وتمتلئ الأرض من حوله فرحاً وطرباً بعدوبة التلاوة وجمال القراءة للقرآن حتى تنزل الملائكة من السماء لتستمع وتنصت إلى قراءته رحمته الله عليه قال أبو سعيد الخدري رحمته الله عليه :

إن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذا جالت فرسه فقرأ ثم جالت فقرأ ثم جالت أيضاً قال أسيد فخشيت أن تطأ يحيى، فقمْتُ إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقرأ ابن حضير» قال: فانصرفت وكان يحيى قريباً منها فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تلك الملائكة كانت تسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»^(١).

٩- تميم الداري رحمته الله عليه :

روى أبو الضحى عن مسروق قال: قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى صلى ليلة حتى أصبح أو كاد يقرأ آية يرددها ويكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجن: ٢٠].

وعن أبي المهلب قال: كان تميم يختم القرآن في سبع. وعن ابن سيرين أن تميماً الدارى كان يقرأ القرآن في ركعة^(٢).

(١) رواه مسلم برقم [٧٩٦].

(٢) «السير» للذهبي، (٤/ ٧٦)، ط: التوفيقية، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٠٧)، ط: المنار.

وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الآية ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح^(١).

١٠- سالم مولى أبي حذيفة رحمته الله :

عن أم المؤمنين عائشة رحمته الله قالت: أبطأت على عهد رسول الله صلوات الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال: أين كنت؟ قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد قالت فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلى فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا^(٢).

وعن ابن عمر رحمته الله أن المهاجرين نزلوا بالعُصبة إلى جنب قباء فأمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرأنا. فيهم عمر وأبو سلمة بن عبد الأسد^(٣).

١١- عبد الله بن عباس رحمته الله :

وهذا خبر الأمة وترجمان القرآن، الذي فاز بدعاء رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقال تلك الكرامة العالية والمنزلة السامية فكان بحرًا للعلم وينبوعًا للهدى، وشفاء للأفهام، وبصيرة نافذة تبدد ظلام الانحراف والجهل، إنه إمام التفسير، والمرجع في الفتوى قال فيه تلميذه مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس^(٤).

عن ابن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب كيف كانت قراءته؟ قال قرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] فجعل يرتل ويكثر في ذلك النشيج^(٥) أي البكاء.

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٠٨).

(٢) رواه ابن ماجه [١٣٣٨] وأحمد (١٦٥/٦) وقال الذهبي: إسناده جيد كما في «السير» (٣/ ١٠٠) وقال الشيخ مصطفى العدوي: رجاله ثقات كما في «الفضائل» [٣٥٨].

(٣) رواه البخاري رقم [٦٩٢].

(٤) رواه الحاكم (٣/ ٥٣٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) «السير» للذهبي (٤/ ٤١٦) ط التوفيقية.

وعن شقيق بن سلمة قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعتُ كلام رجل مثله، ولو سمعته فارس والروم لأسلمت.

وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكر فيها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن هذرمة.

وقال الحسن: كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية (١).

وانظر إلى دقة فهمه للقرآن وعلمه بتأويله وقوة حجته في رده على الخوارج حتى شرح الله صدر عشرين ألفاً منهم وأنقذهم الله به من التيه والانحراف والضلال.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار علي حدثهم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلّي أتى هؤلاء القوم فأكلمهم قال: فإنّي أخوفهم عليك قال قلت كلا إن شاء الله، قال: فلبستُ أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية - ثياب - فدخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت علي قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم أي في العبادة - أيديهم كأنها ثغن الإبل ووجوههم معلقة من آثار السجود قال فدخلت فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي وهم أعلم بتأويله فقال بعضهم: لا تحدثوه وقال بعضهم لنحدثه قال: قلت: أخبروني ما تنعمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وأول من آمن به - يقصد علياً - وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله وقد قال الله: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت

عليه دماؤهم قال قلت: وماذا؟ قالوا ومحا عن نفسه أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قال: قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثكم من سنة نبيكم ﷺ مالا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]. وقال في المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٣٥]. أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم ظاحق أم في أرب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم حق دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال: خرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ إن قلتهم نعم فقد كفرتم - يقصد عائشة رضي الله عنها - وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فأنتم تترددون بين ضاللتين فاختراروا أيها شئتم؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم إنه محا عن نفسه أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال: اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله «فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: والله إنني لرسول الله وإن كذبتهموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله» فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي. أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم عشرون ألفاً وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا^(١).

(١) رواه الطبراني [١٠٥٩٨]، وأبو نعيم في «الحلية» وحسنه الشيخ مصطفى العدوي في «الصحيح المسند».

الصالحون من بعد الصحابة:

هذا هو عمر بن عبد العزيز يقول عنه ميمون بن مهران: قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿التَّكَاثُرُ: ٢﴾ ما أرى المقابر إلا زيارة ولا بد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو النار.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت فجلست في بيت آخر وبينني وبينه باب وهو فيه فسمعتة يقول ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [التَّصْوُّ: ٨٣] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حسًا ولا كلامًا قالت: فقلت للوصيف: انظر أمير المؤمنين فلما دخل عليه صاح فوثبتُ فدخلت عليه فإذا هو ميت قد استقبل القبلة وأغمض نفسه ①.

وهذا سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقول القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعة وعشرين مرة ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨١] وعن هلال بن يساف قال: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة.

وعن عبد الملك بن أبي سليمان أن سعيد بن جبير كان يختم القرآن في كل ليلتين ②.

وتأمل هذا الحوار بين سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والحجاج بن يوسف - عامله الله بما يستحق - لتفقه كيف كان القرآن ملازمًا له في كل أحواله لا سيما وهو يستقبل الموت أمام هذا الطاغية المبير. عن سالم بن أبي حفصة قال: لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال أنا سعيد بن جبير قال: أنت شقي بن كسير لأقتلنك قال: فإذا أنا كما سمعتني أمي ثم قال

① «الحلية» (٢١٧/٥)، ط: مكتبة السعادة.

② «السير» للذهبي (٢/٥).

دعوني أصلي ركعتين قال: وجهوه إلى قبلة النصارى قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقال: إني أستعيز منك بما عازت به مريم قال: وما عازت به؟ قال: ﴿قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] (١).

وهذا محمد بن كعب القرظي قالت أمه له: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً
وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار قال:
يا أماه وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال اذهب لا
أغفر لك؟ مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضى الليل ولم أفرع من
حاجتي.

وقال محمد بن كعب: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾
[الزلزلة: ١] والقارعة لا أزيد عليها وأفكر فيها وأتردد أحب إلى من أن أقرأ القرآن هذا
أو قال أنشره نشرًا (٢).

قال الحسن البصري: يا ابن آدم، والله إن قرأت القرآن وآمنت به ليطولن في الدنيا
حزنك وليشتدن في الدنيا خوفك وليكثرن في الدنيا بكاؤك (٣).

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على عاصم بن أبي النجود فأغمي عليه ثم أفاق ثم
قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] فهمز فعلمت أن القراءة
منه سجية (٤).

(١) السابق (٥/ ٢٨٣).

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٣٩٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٥)، ط: الرسالة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٠)، ط: الرسالة.

وعن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن موسى قال سمعت جدي يقول كنت أقرأ على علي بن صالح فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ [مَرْيَمَ: ٨٤] سقط الحسن ابن صالح يخور كما يخور الثور فقام إليه على فرفعه ومسح وجهه ورش عليه الماء وأسنده إليه^(١).

وقال نعيم بن حماد: قال رجل لابن المبارك قرأت البارحة القرآن في ركعة فقال: لكنني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكْوِيْنَ﴾ [التَّكْوِيْنَ: ١] إلى الصبح ما قدر أن يتجاوزها. يعني نفسه^(٢).

وعن ابن حرملة قال: قلت لبرد مول ابن المسيب ما صلاة ابن المسيب في بيته؟ قال: ما أدرى إنه ليصلي صلاة كثيرة إلا أنه يقرأ بـ ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]. وعن عاصم بن عباس الأسدي قال: كان سعيد بن المسيب يذكر ويخوف وسمعتة يقرأ في الليل على راحلته فيكثر وسمعتة يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»^(٣).

وقال محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس فلما صلي العتمة قام يصلي بـ ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قطفت الحائط كله ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح^(٤).

وعن أحمد بن سهل الهروي قال: كنت ساكناً في جوار بكاربن قتيبة فانصرفت بعد العشاء فإذا هو يقرأ ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] إلى آخر الآية قال: ثم نزلت في السحر فإذا هو يقرأها ويبكي فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل^(٥).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣٦٤ / ٧)، ط: الرسالة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣٩٧ / ٨)، ط: الرسالة.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢٤٠ / ٤)، ط: الرسالة.

(٤) «السير» للذهبي (١٢ / ٨٧ - ٨٨)، ط: الرسالة.

(٥) السابق (١٢ / ٦٠٠).

وقال أبو عثمان المغربي: ليكن تدبرك في الخلق تدبر عبدة وتدبرك في نفسك تدبر موعظة، وتدبرك في القرآن تدبر حقيقة **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾** [النساء: ٨٢] جرأك به علي تلاوته ولولا ذلك لكنت الألسن عن تلاوته ^(١).

وقال أبو الأحوص الحبشي: إن كان الرجل ليطرق الفسطاط [الخيمة] طروقاً أي يأتيه ليلاً فيسمع لأهله دويًا كدوى النحل قال: فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون؟

وعن إبراهيم النخعي كان يقول: اقرؤوا من الليل ولو حلب شاة.

وعن يزيد الرقاضي قال: إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى.

قال الإمام النووى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى على ذلك:

وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل فإن الإسراء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ليلاً، وحديث «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له» ^(٢).

وفي الحديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة» ^(٣) ^(٤).

(١) السابق (٣٢١ / ١٦)

(٢) رواه البخاري برقم [١١٤٥] وهذا لفظه، ومسلم برقم [٧٥٨].

(٣) رواه مسلم برقم [٧٥٨].

(٤) «البيان في آداب حملة القرآن» (٤٨ - ٤٩)، ط: مؤسسة التقويم بيروت.

والإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت يقول عنه مسعر بن كدام: رأيت أبا حنيفة قرأ القرآن في ركعة.

وعن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرُ﴾ [القمر: ٤٦]، ويكي ويتضرع إلى الفجر^(١).

وصلى أبو حنيفة العشاء خلف على بن الحسن المؤذن فقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] فلما انتهت الصلاة وخرج أبو حنيفة حزيناً متفكراً وهو آخذ بلحيته قائماً يقول: يا من يجزي بمئثال ذرة خير خيراً ويامن يجزي بمئثال ذرة شر شراً أجر عبدك النعمان من النار وما يقرب إليها وأدخله سعة رحمتك^(٢).

وهذا عبد الله بن عون الذي يقول عنه ابن المبارك: ما رأيت أحداً ممن ذكر لي إلا إذا كان إذا رأيته دون ما ذكر لي إلا ابن عون وحيوة بن شريح.

قال بكار بن محمد السيريني: وكان له سُبُعٌ يقرؤه كل ليلة فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار. وروى عنه مسعر أنه قال: ذكر الناس داء وذكر الله دواء.

قال الذهبي تعقيماً على ذلك: إي والله فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولكن لا يتهياً ذلك إلا بتوفيق الله، ومن أدام الدعاء ولا زم قرع الباب فتح له.

وعمر بن المنكدر يقول عنه سالم بن أبي بسطام كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل بكثرة البكاء على نفسه فشق ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر: إن الذي يصنع عمر يشق على فلو كلمته في ذلك فاستعان عليه بأبي حازم فقالا له: إن الذي تصنع يشق على أمك قال: فكيف أصنع؟ إن الليل إذا دخل على هالني فاستفتح القرآن وما تنقضي

(١) «السير» للذهبي (٥٧١/٦).

(٢) «مناقب أبي حنيفة» (٢٥٥/٢).

نهمتي فيه قالاً: فالبكاء؟ قال: آية من كتاب الله أبكتني قالاً: وما هي؟ قال: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٧].

وعن عمر بن محمد بن المنكدر قال: كنت أمسك على أبي المصحف قال فمرت مولاة له فكلمها فضحك إليها ثم أقبل يقول إنا لله - إنا لله - حتى ظننت أنه قد حدث شيء فقلت: مالك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها؟! (١).

وذكر الذهبي في السير عن محمد بن المنكدر بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذا استبكي فكثر بكاءه حتى فزع له أهله وسألوه فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مررت بي آية قال: وما هي؟ قال ﴿وَبَدَأْهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٧]، فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاءهما (٢).

وقال الحارث بن سعيد كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزُّلْزَلَةُ: ٧-٨]. قال فجعل والله مالك يبكي ويشهق حتى غش عليه فحمل من بين القوم صريعاً (٣).

وهذا الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

وكان يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رُقَّ طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٠١ - ٤٠٣).

(٢) «السير» (١٦٨/ ٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤٠١).

(٣) «الركة والبكاء» لابن قدامة، ص [١٩٤]، ط: التوفيقية.

وقال أبو بكر بن أبي طاهر وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة^(١).

وقال بحر بن نصر: ما رأيت ولا سمعت كان في عصر الشافعي أتقي الله ولا أورع من الشافعي ولا أحسن صوتاً منه بالقرآن.

وعن الحسين الكرابيسي قال: بت مع الشافعي ثمانين ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل، وما رأيته يزيد عن خمسين آية فإذا أكثر فمئة وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكانها جمع له الرجاء والرهبة معاً^(٢).

وعن محمد بن مسعر قال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن فإذا فرغ من ورده لفأ رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه وإنما هو السواك والطهور ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر وكان يجهد على إخفاء ذلك جداً.

وقال إبراهيم بن أدهم: لقيت عابداً قيل إنه لا ينام الليل فقلت له: لم لا تنام؟ فقال: منعني عجائب القرآن أن أنام.

وعن أبي بكر العطوي قال: كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ثم ابتدأ البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

قال أبو عبد الله الحاكم: رحلت إليه - أي إلى أبي النضر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي مرتين وسألته متى يتفرغ للتصنيف مع هذه الفتاوي؟ قال: جزأت الليل فثلثه أصنف، وثلثه أقرأ القرآن، وثلثه للنوم.

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/٤٦٢ - ٤٦٥).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/١٥٨)، ط: دار التراث.

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم.

وقال الفقيه أحمد بن نصر بن زياد أبو عبد الله القرشي: قرأت أنا على خالي القرآن سبعين مرة أو زيادة على السبعين مرة.

وقال ابن أبي حاتم: لم يدعني أبي أطلب الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل ابن شاذان.

وتلقن أبو رجاء العطاردي القرآن من أبي موسى وعرضه علي ابن عباس، وتلا عليه أبو الأشهب العطاردي يقول عنه أبو الأشهب: كان أبو رجاء يجتم بنا في رمضان كل عشرة أيام. وقال ابن الأعرابي: كان شيخاً كبيراً كثير الصلاة والتلاوة مات سنة ١٠٧ هـ^(١).

قال الحافظ ابن رجب عن شيخه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان في مدة حبسه مشغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير ففتح الله عليه من ذلك خيراً كثيراً^(٢).

وهذا الإمام أبو حيان صاحب البحر المحيط يقول عنه السيوطي كأن كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن وكان ينشد فيقول:

أريد من الدنيا ثلاثاً وإنها لغاية مطلوب لمن هو طالبُ
تلاوة قرآن ونفسٌ عفيفة وإكثار أعمال عليها أواظبُ
وكان يقول: جعلت كتاب الله والتدبر لمعاينه أنيسي إذ هو أفضل مؤانس، وسميري إذا حولكت ظلم الحنادس.

وأنشد يقول:

نعم السميع كتاب الله إن له حلاوة هي أحلى من جني الضربِ
به فنون المعاني قد جمعن فما يفتن من عجبٍ إلا إلى عجبِ

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة [١٦٧ - ١٦٨]، ط: رمادي للنشر.

(٢) «ذل طبقات الحنابلة» (٢/٤٤٨)، وابن قيم الجوزية، ص [٤٦] للشيخ بكر أبي زيد.

أمر ونهي وأمثال وموعظة وحكمة أودعت في أفصح الكتب لطائف يجتليها كل ذى بصر وروضة يجتنيها كل ذى أدب (١)

وهذا أمير المؤمنين في الحديث وشيخ الإسلام الإمام البخاري رحمته الله يقول عنه محمد بن أبي حاتم الوارق: دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه وقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا ذنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً وقد تورم من ذلك جسده، وكانت آثار الذنبور في جسده ظاهرة فقال له بعضهم كيف لم تخرج من الصلاة في أول أمرك فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها (٢).

كلام ربهم آخر ما يختمون به حياتهم:

لله در الصالحين الصادقين، وما أصدق إيمانهم برب العالمين، وما أشد حرصهم على تلاوة كلامه العظيم فقلوبهم وأرواحهم بتلاوة القرآن معمورة، وتندبر آياته مشغوفة مشغولة، وألستهم تردد وتتلو كلام الله فبه يترنمون وبه يلهجون، وبه في صلواتهم يقومون، وفي خلواتهم يأنسون، وفي دروب الحياة كلها بتلاوته يتشبثون، ولندبر آياته وفهمها هم عاكفون حتى نالوا سعادة الدارين وختمت حياتهم الدنيا بأعظم ما تختم به حياة، وتكون على إثره وفاة ألا هو تلاوة كلام الله.

قال حوشب بن عقيل: سمعت يزيد الرقاشي لما حضره الموت يقول ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَافِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْأَجُورَ كُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ١٨٥] ألا إن الأعمال محضرة والأجور مكملات ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت ثم بكى وقال: يا

(١) «مقدمة تفسير البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١/ ٥٣ - ٥٤)، ط: دار الكتب العلمية.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٤٤).

من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غداً مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقفك بين يدي ربك^(١).

ولما حضرت عبيد بن عمير الوفاة قيل له: ما تشتهي؟ قال أشتهى رجلاً موقناً بالقرآن يقرأ علي^(٢).

وعن مطير بن الربيع قال: كان مفضل بن يونس إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري. فلما احتضر بكى وقال: قد كنت أعلم أنا لي من كركما على يوماً شديداً كربه، شديداً غصصه، شديداً غمه، شديداً عجزه [قلقه وفزع] فلا إله إلا الذي قضى الموت على خلقه، وميزه عدلاً بين عباده ثم جعل يقرأ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ثم تنفس فخرجت نفسه^(٣).

قال عبد الله بن موسى: سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخي رفع بصره ثم قال ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] ثم خرجت نفسه فنظرنا فإذا ثقب في جنبه قد وصل إلى جوفه وما علم به^(٤).

عن عبد الله بن شبرمة قال: دخلت مع عامر الشعبي على مريض نعوذ فوجدنا لما به ورجل يلقيه الشهادة ويقول له: قل لا إله إلا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبي: ارفق به فتكلم المريض وقال: إن يلقيني أولاً يلقيني فإني لا أدعها ثم قرأ ﴿وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [التج: ٢٦] فقال الشعبي: الحمد لله الذي نجى صاحبنا^(٥).

(١) كتاب «المحتضرين» لابن أبي الدنيا، ص [١٤٥]، ط: دار ابن حزم.

(٢) السابق ص [١٢٨].

(٣) السابق ص [١٤٩].

(٤) «السير» للذهبي (٧/٢٦٨)، ط: التوفيقية، «صفة الصفوة» (٣/١٥٣).

(٥) «التذكرة في الاستعداد ليوم الآخرة»، ص [٩١].

قال الخطيب سمعت ابن الفضل القطان يقول:

حضرت النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فنادى بأعلى صوته ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصَّافَاتُ: ٦١] يردها ثلاثاً ثم خرجت نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ (١).

وهذا ابن الاسماعيل إسماعيل بن أحمد توفي سنة ست وتسعين وثلاث مائة فتوفي إكراماً من الله له في صلاة المغرب وهو يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففاضت نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ (٢).

وهذا الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي قال عنه الحافظ الضياء تلميذه: كان لا يترك قيام الليل من وقت شيبوبته وسافر هو وجماعة فقام في الليل يصلي ويحرس الجماعة وقلل الأكل في مرضه قبل موته حتى عاد كالعود ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح. وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي وكان آخر كلامه ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ آلَ الدِّينِ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٣٢] (٣).

وهذا الإمام أبو بكر بن النابلسي قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد - الفاطميون - وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: «كان يقول وهو يُسلخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾».

وقال معمر بن أحمد بن زياد: أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاح فوكزه بالسكين موضع قلبه ففضى عليه، وأخبرني الثقة أنه كان إماماً في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده القرآن (٤).

(١) «السير» (٥٧٦/١٥) ط: الرسالة.

(٢) السابق (٨٨/١٧).

(٣) «ذيل طبقات الخنابلة» (٥٦/٢).

(٤) «السير» للذهبي (١٤٨/١٦)، ط: الرسالة.

قال أبو بكر النيسابوري: حضرت إبراهيم بن هانيء عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر، قال: يا أبت الستر مرفوع قال: أنا عطشان فجاءه بهاء، قال: هل غابت الشمس؟ قال: لا قال: فرّده ثم قال ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] ثم خرجت روحه (١).

وهذا الإمام أبو الوقت السجزي قال ابن الجوزي كان صبوراً على القراءة وكان صالحاً كثير الذكر والتهجد والبكاء على سمت السلف، وعزم عام موته على الحج وهياً ما يحتاج إليه فمات.

قال ابن الجوزي حدثني أبو عبد الله التكريتي قال لما احتضر عبد الأول [أبو الوقت] أسنده إلى فكان آخر كلمة قالها ﴿قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ﴿يَا غَفَرِ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يونس: ٢٦-٢٧] (٢).

وهذا الإمام أبو بكر بن مسلم الحضرمي لما احتضر ابتداء القرآن فأنتهى في سورة طه إلى قول الله تعالى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] ففاضت نفسه ﷻ وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة (٣).

قال الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: حدثني أخي الشيخ محفوظ الشنقيطي مدير عام العلاقات بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عن شيخ القراء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ فَقَدَ حَبَالَهُ الصَوْتِيَّةَ فِي السَّنَوَاتِ السَّبْعِ الْآخِرَةِ مِنْ حَيَاتِهِ وَكَانَ يَدْرُسُ تَلَامِيذَهُ الْقِرَاءَةَ فَلَا يَفْصَحُ لَهُمْ إِلَّا بِشَهْقٍ وَإِيَاءٍ ثُمَّ مَرَضَ مَرَضَ الْوَفَاةِ، وَكَانَ طَرِيحَ السَّرِيرِ الْأَبْيَضِ بِالْمُسْتَشْفَى فَفُجِئَ أَهْلُ الْمُسْتَشْفَى بِالرَّجُلِ

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٤٠١).

(٢) «السير» للذهبي (٢٠/ ٣١١)، ط: الرسالة.

(٣) «ترتيب المدارك» (٦/ ٢٧١).

المريض فاقد الحبال الصوتية يقعد ويدندن بكلام الله بصوت جهوري جذاب مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ثم أسلم الروح إلى بارئها^(١).

ومن نشأ على كتاب الله تعالى وعمر به مجالسه وأشغل به لسانه رجل كان حافظاً لكتاب الله تعالى، وكان يعلمه للناس ويحفظهم إياه بدون أجر مادي كان كذلك حتى كبر سنه ورق عظمه وبلغ من الكبر عتياً حتى فقد الذاكرة فسي جميع من يعرفهم حتى أسماء أبنائه ولازمته هذه الحالة مدة عشرين سنة تقريباً إلا أن العجيب من أمره أنه كان في هذه المدة يقرأ القرآن فلا يخطيء في آية ولا يسقط كلمة وفي يوم من الأيام وفي وقت السحر بالذات أخذ هذا الرجل ينادي أكبر أولاده باسمه وقد نسيه منذ عشرين سنة فلما سمعه ابنه فرح فرحاً شديداً وقال: لقد عادت ذاكرته له وعاد رشده وصوابه فقال: لبيك يا والدي ماذا تريد؟ قال يا بني هل ترى هذين الرجلين الجميلين اللذين يرتدي كل منهما عمامة بيضاء؟ قال ابنه: يا والدي حفظك الله لا أرى شيئاً ولعلك رأيت هذا في المنام ولا حقيقة لذلك قال يا بني أراهما عياناً أمامي الآن وأعجب كيف لا تراهما أنت! قال: يا والدي لا أرى شيئاً فقال: يا بني أودعك وأودع أهلك وأودع الدنيا وأسأل الله أن يجمعنا في دار كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر ثم رفع سبابته ليوحد بها ربّه ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم فاضت روحه وانقطعت أنفاسه على هذه الكلمة العظيمة^(٢).

وهذا الشيخ أمين استمر في التعليم والتدريس ونفع الله به خلقاً كثيراً. وفي آخر أيامه أصابه مرض يصعب الحركة معه فكان يقاوم ويقوم ليعظ الناس متيقناً أن الله لن يضيع عمله وأن الله عند حسن ظن عبده به فقد جاء الموت للشيخ أمين وهو ابن ثلاثة وستين عاماً وحوله تلاميذه وابنه الشيخ أحمد فأحس بالموت وأحس من حوله بذلك

(١) المجلة العربية عدد [١٧١] ص [٧٠-٧١] نقلاً عن الجزء من جنس العمل (٤٣٤/٢) للدكتور سيد العفاني، ط: ابن تيمية.
(٢) «موسوعة القصص الواقعية» لمصطفى كامل، ص [١٧]، ط: العالمية نقلاً عن الأعمال بالخوايتم لسعد الحجري، ص [٢٢١-٢٢٢].

فهموا بتلقيه الشهادة فالتفت إليهم وصار يقول لهم قولوا لا إله إلا الله قولوا لا إله إلا الله بدلاً من أن يقولوا له ثم ضعف صوته وشخص بصره وهو يقول ﴿يَتَأَنَّهُ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخِلِي فِي عِدْدِي (٢٩) وَأَدْخِلِي جَنِّي ﴿[الْقَبْرِ: ٢٧-٣٠] والتفت إل من حوله بما يملك من قوة قائلاً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وفاضت روحه إلى بارئها^(١).

وبموقف لشيخ الإسلام يكون مسك الختام يقول الحافظ ابن كثير عن موت شيخ الإسلام ابن تيمية: وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني ورحمة الله - وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته وعلى رأسه عمامه بعذبه مغرورة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعاً في الحادية والثمانين فانتهاها إلى آخر اقتربت الساعة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿[الْقَبْرِ: ٥٤-٥٥]﴾^(٢).

أحبتني إخوتي،

هكذا كانت حياتهم مع كلام ربهم فكيف تكون حياتنا مع كلام ربنا؟! أين شغفنا بتلاوة القرآن؟! أين حبنا لترتيله وسماعه؟! أين حرصنا على تعلمه وتعليمه؟! أين القرآن في حياة المسلمين في ليلهم ونهارهم، في مجالسهم واجتماعاتهم ما أحوجنا أن نعود إلى هديه وتعلمه وتعليمه اللهم خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا وقنا شر نفوسنا وأهملنا ذكرك وشكرك يارب.



(١) السابق، ص (٣٢٣-٣٢٤).

(٢) «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (١٤ / ١٣٨)، ط: مكتبة المعارف.